# الفصل الثالث والعشرون

## وحيدًا على أوليمبوس

بلغ بوتين الستين من عمره في أكتوبر/تشرين الأول 2012م، وهو سن التقاعد الرسمي للرجال الروس، لكن هذا الحد ليس له تأثير في الرئيس أو غيره ممن يشغلون المناصب العليا، لكن ديمتري ميدفيديف حين كان رئيسًا حرص على خفض سن التقاعد من خمسة وستين إلى ستين، وكانت الفكرة هي (التجديد) في الطبقة البيروقراطية المتضخمة؛ بإيجاد متسع للشباب لتترقى في المناصب. ومع اقتراب عيد ميلاد بوتين، وتجاوز بعض أقرب الحلفاء إليه في الحكومة السن القانونية للتقاعد، رفع سن التقاعد إلى السبعين. بدا تعديلًا طفيفًا، لكنه جزء من النمط المعاكس، خطوة خطوة لخلع الإرث الرئاسي الذي خلَّفه ميدفيديف؛ فبالإضافة إلى خفض سن التقاعد، وعدم تجريم القذف، استعاد بوتين المنطقتين الزمنيتين اللتين حذفهما ميدفيديف، ونقض قراره- الذي لم يحظ بشعبية- بوقف تغيير الساعة مرتين في السنة. وهكذا فما صنعه ميدفيديف من إصلاحات سياسية رآها بعضهم تنازلات في الاحتجاجات التي ظهرت في شتاء 2011-2012م، والتي سنها بقانون هو أحد آخر أعماله حين كان رئيسًا؛ تُخفف اليوم، ولن تشمل انتخابات قادة المناطق سوى أولئك الذين يرشحهم الكرملين.

على الرغم من بقاء ميدفيديف رئيسًا للوزراء وزعيمًا لحزب (روسيا الموحدة)، يبدو أن الكرملين ينوي أن يخرج ميدفيديف خارج دائرة القادة المهمين في البلاد، كما لو أن رئاسة بوتين لم تنقطع؛ فبدأ الكرملين يقلل من منجزات ميدفيديف، ويراجع التاريخ على

النمط السوفييتي ليؤكد أن بوتين هو المسؤول في نهاية المطاف عن هذه المنجزات. في أغسطس/آب، وفي الذكرى السنوية الرابعة للحرب في جورجيا، ظهر على موقع يوتيوب فيلم وثائقي غامض من سبع وأربعين دقيقة، وبدأ ينتشر على نطاق واسع؛ وقد حمل اسم (اليوم المفقود). زعم الفيلم- مستشهدًا بأقوال لقادة عسكريين كبار- أن تردد ميدفيديف في الساعات الأولى من الحرب نتج عنه ارتفاع ضحايا الحرب بين أوسيتيا والقوات الروسية.

كان هذا الفيلم في العلاقات العامة السوداء، يقوم عليه إستراتيجيو وسائل الإعلام الروسية الأخفياء ليضعفوا تأثير المعارضين السياسيين والمنافسين في مجال الأعمال، واليوم يُسْتَغل ضد ربيب الخدمة الطويلة لبوتين؛ ميدفيديف. تفاصيل الفيلم كانت متناقضة، وكاذبة بوضوح في بعض الأماكن، ومشوشة في أماكن أخرى. وهو يتحدث بصورة أساسية- بموسيقى تصويرية غريبة- عن ميدفيديف الذي تسبب في مقتل ألف شخص، مع أن عدد القتلى من جميع الأطراف في الحرب كان 884 شخصًا. جاءت أقسى الانتقادات في الفيلم من الجنرال يوري بالويفسكي، الذي تنحى أصلًا من منصبه قبل شهرين من بدء الحرب، وادعى أن الجورجيين شنوا هجومهم في أوسيتيا الجنوبية قبل ساعات من إعلانهم شن الهجوم، وأن ميدفيديف لم يتصرف إلا بعد أن تدخل بوتين شخصيًّا من الصين في أثناء افتتاح دورة الألعاب الأولمبية الصيفية، وأضاف الجنرال: «حتى جاءت ركلة في المؤخرة»؛ هي الركلة الأولى من بكين، ثم جاءت الركلة الثانية، مباشرة من فلاديمير فلاديميروفتش، «الجميع- إذا ما أردنا أن نستخدم العبارة الملطفة- كان يخشى من شيء».

مصدر الفيلم لم يُعرف أبدًا، ولم تعلن أي جهة مسؤوليتها عنه؛ ففي ظل العلاقات العامة السوداء لا يكشَف عن الهوية؛ فقد نشر هذا الفيلم على حساب يوتيوب تابع لشخص يدعى أصلان جودييف، ويعود إلى شركة إنتاج تدعى ألفا، رغم عدم وجود أستوديو بهذا الاسم في روسيا. وقد ربطت النسخة الروسية من مجلة فوربس الفيلم بقناة تلفازية تتبع المجموعة الوطنية للإعلام، المملوكة جزئيًّا والتي يسيطر عليها مصرف (روسيا)، والمسهم الرئيس فيه صديق بوتين القديم يوري كوفالتشوك[1]. حالما بدأ الفيلم بالانتشار، تساءل مراسل

صحافة الكرملين عن بوتين، الذي تبنى الفيلم كثيرًا مما يؤكده، ومن ذلك الادعاء بأنه اتصل مرتين بميدفيديف من بكين، وهذا يتعارض مع السرد الذي جاء به ميدفيديف. ونظرًا إلى سيطرة الكرملين الشديدة على الأسئلة التي يطرحها تجمع الصحافة، فإن حقيقة السؤال الذي طرحه مراسل وكالة الأنباء الحكومية (ريا نوفوستي) تشير إلى أن بوتين أراد لفت الانتباه إلى الفيلم، إذ كان يمكنه أن يتنكر بسهولة بأسوأ التلميحات أمام مساعديه القدامى، وصديقه وسلفه، لكنه لم يفعل.

**الاقتتال** الداخلي بين الحاشية الذي سبق عودة بوتين إلى الرئاسة تصاعد بعد ضغط ميدفيديف للمضي قدمًا في خطط لخصخصة أسهم الدولة في مئات الشركات، لكنه لم يجد لديه السلطة الأكثر استقلالية في التصرف، أكثر مما كان عليه في السنوات الأربع السابقة. ظل منافسوه في ديوان بوتين: سيرجي إيفانوف، الذي كان وقتها رئيس موظفي الكرملين، وإيجور سيتشين، والحرس القديم الآخرون، الذين ربما أصبحت مصالحهم المالية في الشركات المملوكة للدولة أكثر وضوحًا. وكان ميدفيديف قد أعلن بالفعل أنه لا يستبعد خوض انتخابات الرئاسة مرة أخرى في عام 2018م، وهو موقف قد يُغضب آخرين في الكرملين، فقد حمَّله كثيرون مسؤولية الاحتجاجات التي شوشت عودة بوتين.

لم تمض أشهر فقط على تولي ميدفيديف منصب رئيس الوزراء حتى استهلكت المواقف السياسية التي كان قد تبناها، وهي قليلة أصلًا، بسبب ظهور الفيلم، والتراجع عن عدد من مبادراته، حتى إن مشروعه المكلف لبناء وادي السيليكون على أطراف موسكو واجه فجأة تحقيقات جنائية بحجة أن المسؤولين التنفيذيين في المشروع زودوا حركة الاحتجاج بالمال. انتقاد عمل ميدفيديف في رئاسة الوزراء بدأ يتسرب حتى في وسائل إعلام الكرملين الودية، في حين انتقد بوتين نفسُه بقسوةٍ ميزانية الحكومة وبطئها في إقامة المشاريع الطموحة للغاية- بعضهم قال إنها أهداف رمزية- التي أصدر بها مرسومًا في بداية ولايته الجديدة لتحسين السكن والتعليم في مرحلة الطفولة المبكرة، والبحث العلمي، ومتوسط العمر المتوقع للحياة.

تشويه إرث ميدفيديف امتد ليطول الشؤون الخارجية كذلك، وقد أشار بوتين بعد أيام من تنصيبه إلى أن (إعادة الضبط) التي تُدافع عنها إدارة أوباما قد انتهت، وأبلغ بفظاظة البيت الأبيض أنه لن يحضر قمة الدول الثماني العظمى G8 التي ستعقد بالقرب من واشنطن في وقت لاحق من ذلك الشهر، لا رفضًا للولايات المتحدة فقط، ولكن أيضًا لقادة الدول الأخرى التي كان يتودد إليها، وبعث ميدفيديف بدلًا منه؛ بحجة أنه مشغول بتأسيس الحكومة الجديدة. لم يرحب أحد في البيت الأبيض بعودة بوتين إلى الكرملين، ولكن كان أوباما قد أرسل مستشاره للأمن القومي، توماس دونيلون، إلى موسكو بعد انتخابه على أمل الحصول على دعم روسيا لمواصلة تخفيض الأسلحة النووية، ولحل الحرب الأهلية المرعبة التي استهلكت سوريا. في مارس/آذار، واجه أوباما حملة إعادة انتخابه الخاصة، فحاول أن يطمئن ميدفيديف أنه وبوتين يمكن يحرزا تقدمًا في التغلب على معارضة روسيا للدفاعات الصاروخية في أوروبا، لكنه كان بحاجة إلى الانتظار إلى ما بعد الانتخابات. تبادلهما لوجهات النظر في اجتماع قادة العالم حول الأمن النووي، برز للعلن عن غير قصد على ميكروفون مفتوح.

> قال أوباما لميدفيديف: «يمكن أن تحل كل هذه القضايا، ولا سيما قضية الدفاع الصاروخي، لكن لا بد أن يمنحني بعض الوقت»[2].
> أجاب ميدفيديف: «نعم فهمت عليك، وأفهم رسالتك بشأن الفضاء. الفضاء بالنسبة إليك...».
> أوضح له أوباما: «هذه الانتخابات الأخيرة لي، وبعد انتخابي سيكون عندي مزيد من المرونة».
> رد ميدفيديف: «فهمت، وسأنقل هذه المعلومات إلى فلاديمير».

زلة أوباما دفعت منافسه الجمهوري، ميت رومني، ليصرِّح أن روسيا «هي العدو الجيوسياسي رقم 1 بالنسبة إلينا»، وهي أسوأ من كوريا الشمالية بتسليحها النووي، وأسوأ من إيران التي تطمح إلى برنامج نووي؛ لما توفره من حماية لـ(أسوأ الجهات الفاعلة في العالم)؛ من خلال استخدامها لحق النقض الفيتو في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.

لم يخطر على بال أوباما أن تصريحه الذي وعد فيه أن يكون أكثر مرونة بعد انتخابه سيدفع بوتين إلى أن يتشدد أكثر من أي وقت مضى؛ ففي شهر يونيو/حزيران، حين التقى أوباما بوتين على ساحل ولاية باجا في كاليفورنيا لحضور قمة مجموعة العشرين، لم يبذل أي منهما الجهد ليخفي ازدراءه للآخر. أبقى بوتين أوباما منتظرًا أكثر من نصف ساعة، وعندما ظهر الاثنان معًا بعد لقائهما، لم يبتسما أو حتى يتحدثا معًا، بل كان كل منهما يحدق في الأرض وهما يجيبان عن أسئلة الصحفيين، إضافة إلى أنهما لم يحرزا أي تقدم في أي من القضايا الصعبة المختلف عليها، وخاصة تدهور الصراع في سوريا. كان مساعدو أوباما قد وضعوا خطة للتفاوض على نفي الرئيس السوري بشار الأسد، ولكن كان هذا على افتراض أن الأسد سيتنحى عن منصبه، وأن بوتين سيتولى إقناعه بذلك. وقد أوضح بوتين- واضعًا في حسابه (استسلام) ميدفيديف في الأمم المتحدة بخصوص ليبيا في عام 2011م- أنه لن يسمح للولايات المتحدة أن تقود أي تدخل أجنبي آخر لإسقاط زعيم سيادي، بغض النظر عن عدد الأرواح التي ستزهق في صراع وحشي متزايد. ظلت حكومة الأسد آخر الحلفاء لروسيا في الشرق الأوسط، فهي التي تشتري الأسلحة الرئيسة منها، وتستضيف قاعدة بحرية روسية في البحر الأبيض المتوسط في طرطوس، لكن كان أهم ما يشغل بوتين هو منع الولايات المتحدة- من وجهة نظره- من إطلاق العنان لقوى التطرف مرة أخرى.

قلل بعض المسؤولين في واشنطن وغيرها من العواصم من شأن حملة بوتين السياسية المناهضة لأمريكا، وعدوها مناشدة ساخرة للمقاومة الوطنية ضد الأعداء الخارجيين لروسيا، لكنهم أساؤوا تقدير مدى عمق هذه القضية في تفكير بوتين في ذلك اليوم. خيبة الأمل الدولية كانت واضحة من خلال استقبال عودته إلى رئاسة الجمهورية، وثمة ذعر من حملة القمع العنيفة للاحتجاجات والاستنكارات لمحاكمات بازي رايوت والمتظاهرين في بولوتنايا، كل ذلك أسهم في تعزيز رأي بوتين بأن الغرب يعارضه ويقف ضد مصالحه، ومن ثم يعارض روسيا نفسها.

لغة بوتين اليوم عكست أسوأ مراحل الحرب الباردة، وتعضدها وتضخمها دائرة الأقوياء الذين يهيمنون على مجلس الوزراء، وتدفع إلى الهامش الأصوات الأكثر اعتدالًا الذين تجمعوا حول ميدفيديف، حتى ظهرت استعادة (العملاء الأجانب)، كما تشير تسمية الكرملين؛ التي تتجه إلى من ينظر اليوم إلى الدفاع عن حقوق الإنسان، أو الجهود كتلك التي بذلها نافالني لفرض مساءلة الحكومة؛ لكونها جريمة ترتكب ضد سيادة الدولة.

نافالني، فوق كل شيء شارك في زمالة القيادة العليا في جامعة ييل، وكان هذا كافيًا اليوم ليوضع في دائرة الاشتباه.

في صيف عام 2012م، أعاد المدعي العام فتح تحقيق جنائي ضد نافالني، بتهمة (اختلاس) 500 ألف دولار من الأخشاب في منطقة كيروف، حين عمل مستشارًا غير مدفوع الأجر للحكومة في المنطقة. جاء ذلك بعد أسبوع من نشر أدلة تشير إلى أن رئيس لجنة التحقيق، ألكسندر باستريكين، لديه أعمال وشقة في جمهورية التشيك. وسرعان ما توسعت التحقيقات في صفقات أخرى متورط فيها نافالني، وهو ما اضطره إلى قضاء كثير من وقته وطاقاته في الدفاع عن نفسه في المحكمة.

المعارضة التي ظهرت ضد مبادئ بوتين في شتاء 2011- 2012م تراجعت ببطء من الشوارع، والحشود تراجعت في حجمها وحماسها عندما ضغط الكرملين بمزيد من القسوة ضد منتقديه، وكثير من معارضي بوتين؛ من قوارض الإنترنت (الهامستر)، ومحبي موسيقى الجاز، و(الشرائح المبدعة)، الذين احتشدوا وراء نافالني، تراجعوا وعادوا إلى الإنترنت، حيث يثورون وليس بأيديهم حيلة.

في سبتمبر/أيلول، كانت هناك علامة أخرى تدل على تدهور العلاقات بين روسيا والولايات المتحدة على وجه الخصوص، فقد أنهى الكرملين فجأة عمل الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية USAID في روسيا. وكانت هذه الوكالة دعمت غولوس والمنظمات المدنية

الأخرى المنخرطة في العملية السياسية، ودعمت أيضًا عددًا من البرامج المعتدلة سياسيًّا، ومن ضمنها تطوير القروض العقارية ومكافحة الإيدز.

وفي أكتوبر/تشرين الأول، وسَّع قانون جديد تعريف الخيانة ليشمل تمرير (المساعدات المالية والمادية والتقنية والاستشارية أو غيرها) لدولة أجنبية، أو منظمة دولية، وقد وجهت تهمة الخيانة هذه لأي ناقد للحكومة له اتصال مع المنظمات غير الحكومية الأجنبية NGO. المنظمتان الأمريكيتان البارزتان اللتان تدعمان الحملات الانتخابية: المعهد الديموقراطي الوطني والمعهد الجمهوري الدولي، اضطرا إلى مغادرة البلاد، وغادرت كذلك مجموعات مماثلة من أوروبا، لئلا يواجه موظفوها أو الجهات المتواصلة معها اتهامات قد تودعهم عشرين عامًا في السجن.

دخل الوضع بعدها في دروة متبادلة؛ كما يقول المثل «غنِّ لي فأغني لك»؛ فكل ما تفعله دولة ما يقابل برد فعل مضاعف في دولة أخرى؛ ففي عام 2012م، اعتمد الكونغرس الأمريكي- على الرغم من معارضة البيت الأبيض الذي كان لا يزال يأمل في الحفاظ على مظهر من مظاهر التعاون مع بوتين- قانونًا جديدًا يحمل اسم سيرجي ماجنيتسكي؛ يفرض حظر السفر وعقوبات على المسؤولين الروس المتورطين في مقاضاته ووفاته. وقد تتبعت النيابة العامة الأمريكية في النهاية بعضًا من العوائد غير المشروعة البالغة 230 مليون دولار التي لم يكشف عنها ماجنيتسكي لأربع وحدات سكنية فاخرة، وغيرها من الممتلكات التجارية في مانهاتن، كانت المحكمة قد استولت عليهم، وقد اشترتها شركة عقارية قابضة في قبرص، باستخدام الأموال المغسولة من خلال شركات وهمية في الجمهورية السوفييتية السابقة مولدوفا[3].

أغضب قانون ماجنيتسكي بوتين، الذي نفى معرفته بتفاصيل قضية ماجنيتسكي، وفي الوقت نفسه قال إن الولايات المتحدة تسعى لمعاقبة روسيا بغض النظر عن موت مدقق الحسابات في السجن، وأضاف: «لو لم يكن ماجنيتسكي موجودًا لبحثوا عن ذريعة أخرى».

في البداية ردَّ الروس بفرض عقوبات على ثمانية عشر مسؤولًا أمريكيًّا متورطًا في احتجاز السجناء وتعذيبهم في سجن خليج غوانتنامو وأماكن أخرى، وكما هو حال الدعاية السوفييتية في الماضي، استخدم بوتين هذه المتوازيات- لم تكن في محلها أحيانًا- ليبعد الانتقادات عن روسيا، لكن ذهب اليوم إلى أبعد من ذلك؛ فاقترح تشريعات تفرض عقوبات على القضاة والمسؤولين المتورطين في الإساءة للأطفال الروس الذين تبناهم الأمريكيون، وهو موضوع كان مصدر توتر دوري مع الولايات المتحدة، وقد حُلَّ من خلال اتفاق ثنائي يتيح مزيدًا من الإشراف على العملية.

وسط الضجة التي أثيرت حول عقوبات ماجنيتسكي ذهب الدوما إلى أبعد من ذلك؛ بتمرير تشريع يحظر جميع عمليات تبني الأمريكيين للأطفال الروس، وكان التصويت النهائي عليه بالإجماع تقريبًا، على الرغم من أن التشريع كان ساخرًا وقاسيًا، حتى إن أعضاء حكومة بوتين اعترضوا عليه. كانت دور الأيتام الروسية مليئة بالأطفال الذين هم بحاجة ماسة إلى العائلات- حسب بعض التقديرات بلغ تعدداهم 800 ألف- في بلد ظل يعد التبني وصمة عار، ومن ثم كان نادرًا. وكان الأمريكيون قد اعتمدوا تبني ما يقرب من 50 ألف طفل منذ عام 1999م، والحظر سوف يجمد بعض عمليات التبني التي لا تزال جارية. كان الانتقام الروسي غير متماثل، بل غير متوازن، ومرتدًّا سلبيًّا على الذات؛ فالأمريكيون استهدفوا البيروقراطيين الفاسدين في فرض العقوبات، أما روسيا اليوم فتستهدف أيتامها هي.

قبل يوم واحد من تصويت الدوما النهائي على مشروع القانون، واجه بوتين أسئلة حادة غير معتادة خلال مؤتمره الصحفي السنوي، فسئل ثماني مرات لماذا أضرَّ بمصالح الأطفال في نزاع سياسي مع الولايات المتحدة؟ فقَدَ بوتين رباطة جأشه تحت وطئة أسئلة عدائية غير متوقعة، فقال بغضب مركزًا على نقطة واحدة، إن الولايات المتحدة كانت غير مبالية بما جرى من انتهاكات بحق الذين تبنتهم من الروس. وادعى أن المسؤولين الأمريكيين رفضوا استفسارات من الدبلوماسيين الروس عن التحقيق في حالات تعرض فيها الأطفال الروس لسوء المعاملة؛ وقد ردَّ غاضبًا على أحد الصحفيين: «هل تعتقد أن هذا أمر طبيعي؟»، ثم

عقَّب: «كيف يمكن أن تكون طبيعيًّا إذا تعرضت للإذلال؟ هل تحب ذلك؟ هل أنت مازوشي؟». وبعد أسبوع، على الرغم من تدفق غير عادي للاحتجاجات في البلاد، وقع بوتين التبني ليصبح قانونًا.

**في** عيد ميلاد بوتين الستين يوم 7 أكتوبر/تشرين الأول 2012م، شهدت مختلف أنحاء البلاد احتفالات بطريقة تكاد تكون عبادة لشخص، وهو ما كان يشير إليه دائمًا على أنه أمر مقيت، ولكنه لم يبدُ أقلَّ من ذلك. وفي الأيام التي سبقت ذلك، أُقيم معرض لوحات فنية في موسكو بعنوان يخلو من السخرية، **بوتين: أكثر رجل قلبه طيب في العالم**، وكذلك أنتجت مجموعة من الشباب المنتسبين لحزب (روسيا المتحدة) فيلمًا من أربع دقائق، مشحونًا جنسيًّا بنساء حسان يكررن مآثره الأكثر شهرة: من ركوب الخيل في الجبال، إلى قيادة طائرة نفاثة مقاتلة، وانتهاء بقيادة سيارة لادا صفراء في سيبيريا، وكانت هناك قراءات شعرية، ومسابقات في كتابة المقالات لتلاميذ المدارس. كان لهذا المَعلَم صدى سياسي في التاريخ السوفييتي، حيث يبدو مصير البلد ومصير الزعيم متشابكين. فعيد ميلاد ستالين الستين في عام 1939م عُدَّ عيدًا وطنيًّا، وطغى على حرب الشتاء مع فنلندا، ونال وسام ميدالية لينين. حتى أدولف هتلر أرسل برقية مع أطيب تمنياته «لمستقبل مزدهر لشعوب الاتحاد السوفييتي الصديق»، وحصل نيكيتا خروتشوف على الجائزة نفسها في يوم عيد ميلاده الستين في عام 1954م، في حين أعطي ليونيد بريجنيف شرف بطل الاتحاد السوفييتي.

وجاءت ستون بوتين دون أي ميدالية، بِضَجَّة جوفاء، وعلى الرغم من المداهنة الرسمية كان هناك شعور غير ملموس بالخوف بين مؤيديه ومنتقديه، من إدراك عصره وفنائه، وشعور أنه أصبح لا غنى عنه، لكن لا أحد يمكن أن يبقى إلى الأبد. في سبتمبر/أيلول ظهر في قمة منتدى التعاون الاقتصادي لدول آسيا والمحيط الهادئ في فلاديفوستوك يعرج بوضوح، غير أن الكرملين لم يكن راغبًا على ما يبدو في توضيح السبب. (كان يعاني من شد عضلي في ظهره حين كان يلعب هوكي الجليد، التي لعبها حديثًا، كما أوضح مساعد بارز لاحقًا).

بعد سنة صاخبة نجا بوتين من موجة من المسيرات التي لطخت إعادة انتخابه، لكن الريبة التي طالت صحته كشفت القلق الذي يتخلل النظام. بدا الزعيم يصارع لاستعادة الحيوية التي كان يتمتع بها في رئاسته الأولى، وكان كمن عاد إلى السلطة دون هدف واضح، كما لو أن انتخابه ليس وسيلة لتحقيق غاية، وإنما غاية في حد ذاتها.

في طريقه إلى القمة حلَّق بطائرة شراعية ذات محرك، وهو جزء من برنامج الحفاظ على عودة الكركي المهدد بالانقراض في بر سيبيريا. وكثيرًا ما سحر بوتين أنصاره بلقاءات مختلفة مع الحيوانات البرية (بعضها كان مخدرًا)، لكن الشيء المثير أن هذه الألعاب البهلوانية الخائبة لم تكن مقنعة كثيرًا. وكان قد توقف عنها في أثناء الثورة على انتخابه، وربما أصيب بالإحراج من (اكتشافه) الجِرار القديمة المزروعة في البحر الأسود، ولكنها استؤنفت اليوم؛ فقد عاد الإستراتيجيون إلى الأساليب التي كانت مجدية مدة طويلة؛ إذ ارتدى بوتين بذلة بيضاء بقد ممشوق، والتحق بطيار الطائرة الشراعية ليرشد الكراكي التي وقعت أسيرة قرب نهر أوب في سيبيريا الغربية نحو أرض الاستراحة الشتوية في الجنوب. الطائرة مزودة بكاميرات، ونفذت محاولتين قبل أن تلحق بها الطيور، وبحسب ما ورد فقد دفع بوتين لطائرة شراعية، وقضى ساعات في التدريب، لكن الحدث يثير السخرية بوصفه شكلًا من أشكال القرن الحادي والعشرين للقديسين السوفييت.

وصف الإستراتيجي غليب بافلوفسكي هذه الألعاب البهلوانية الأخيرة لبوتين بأنها أفعال انعكاسية وغير مقنعة، كما لو أن الأفكار الجديدة نفدت من الكرملين، وكان بافلوفسكي قد أسهم بما لم يسهم به أي شخص في تكوين الصورة السياسية لبوتين من خلال المثيرات التلفازية التي جعلت منه زعيمًا سياسيًّا إلى الدرجة التي أصبح عليها، لكن بعد أن عاد إلى مكتبه ثانية، لم يكن لديه طريقة أخرى يقود بها البلاد، ومن ثم فبدلًا من التركيز على قضايا محافظة، أصبحت الكراكي اليوم دعامة أخرى لغرور بوتين. قال بافلوفسكي: «لقد ذهب الزعيم إلى السينما ولم يعد أبدًا، وبدا نادمًا»[4].

استمر عرض السيرة المقدسة في عيد ميلاد بوتين نفسه، فبينما كان يحتفل سرًّا مع بعض الأصدقاء المقربين والعائلة في المقر الرسمي في بطرسبورغ، نظمت جميع قنوات التلفاز برامج خاصة له؛ وفي برنامج إخباري أسبوعي (روسيا)، شبهه ديمتري كيسليوف بستالين، وكان بمنزلة إطراء له؛ وقال: «فيما يتعلق بنطاق نشاطاته، لا يمكن أن يقارن بوتين السياسي بأسلافه في القرن العشرين إلا بستالين فقط»، قال هذا في برنامج من ثلاث عشرة دقيقة امتدح فيها ارتفاع الرواتب والمعاشات التقاعدية، وإحياء الجيش، واستعادة التكافؤ النووي مع الولايات المتحدة[5]. وبثت محطة NTV خمسين دقيقة وثائقية حاولت من خلالها أن تعيد تقديم الرجل الذي أصبح وحده تقريبًا في مركز اهتمام الرأي العام اثني عشر عامًا، وأرادت أن تظهر بتملُّق- من خلال برنامج بعنوان: (**بوتين الزائر**)- أن بوتين لا تعرفه سوى الدائرة المقربة منه، مع أن البرنامج لم يأت بجديد إلا قليلًا. مقدم البرنامج، فاديم تاكمنيف، تابع الرئيس خلال أسبوع عمل، من مكتبه في نوفو أوجاريوفو إلى الكرملين، إلى زيارته الرئاسية إلى طاجيكستان، وفي سلسلة من المقابلات التي أجريت على مدى أسبوع، عبَّر بوتين مجددًا عن وجهات نظره في انتخابه، وفي منتقديه، وفي الفساد، وفي السياسة الخارجية، رافضًا أن تكون الانتقادات مجرد مضايقات[6]. قال: «قادة حركة الاحتجاج (أمثال نالافني، الذي لا يستطيع بوتين أن يتفوه حتى باسمه) كانوا (القش) الذي سيرمى بعيدًا، ليفسحوا المجال أمام (الجاذبية المثيرة للشعب) كي تظهر في الحياة السياسية والعامة». والفساد كان مبالغًا فيه، وبكل الأحوال ارتفع متوسط الدخل السنوي للروس من أقل من 1000 دولار سنويًّا عندما تولى منصبه إلى ما يقارب 10.000 دولار اليوم. «من المهم للغاية أن يكون التصور الذاتي لأي شخص يعيش على هذه الأرض أنه لا يعيش فقط في هذه المنطقة، إنما هو مواطن ينتمي لدولة قوية تحظى باحترام العالم»، وأضاف: «الشيء الأكثر أهمية أن روسيا وحدها التي تمتلك تكافؤًا نوويًّا إستراتيجيًّا مع الولايات المتحدة».

تجاهل بوتين في جوابه ما يتعرض له الروس من إذلال يومي وغضب حين يُجبرون على دفع الرشا لأية خدمة عامة تقريبًا، والكسب الهائل غير المشروع الذي جعل نافالني

متخصصًا في فضحه، والتصنيف العالمي الكئيب لمنظمة الشفافية الدولية التي وضعت روسيا في المرتبة 133 من 176 بلدًا في ممارسة الشفافية. قبل يومين فقط كانت محطة NTV قد بثت فيلمًا وثائقيًّا يتهم المتظاهرين الذين خرجوا إلى الشوارع بالتآمر لقلب نظام الحكم، وهذه المرة بمساعدة من القلة في جورجيا وأسيادهم في الغرب. صورت الأفلام الوثائقية بوتين بصورة وطني بسيط صادق في عمله، يتفانى دون كلال أو ملل في شؤون الدولة، في حين أن منتقديه هم غرباء لا يريدون سوى الفوضى. وسط الأدلة المضاعفة للفساد والمحسوبية التي أغنت أصدقاء وحلفاء له، كان بوتين يعيش حياة متواضعة فيها شيء من الزهد تقريبًا، وفي منزل- على الرغم من كل ما فيه من مرافق ووسائل راحة- متواضع، ولم يُعرض إلا القليل من التباهي بالثروة. وكانت آخر ورقة بيضاء أعدها بوريس نيمتسوف وحلفاؤه هي عن الفساد وثروة من هم في الدائرة الداخلية لبوتين، وتذكر مساكن في عشرين دولة وضعها الرئيس تحت تصرفه، تسعة منها شيِّدت في أثناء وجوده في السلطة، فضلًا عن عشرات اليخوت والطائرات، مع أن هؤلاء النقاد اعترفوا أن اهتمام بوتين بزخارف الثروة أقل من اهتمامه بالزخارف التي تحيط بالسلطة.

على الرغم من أن برنامج (**بوتين الزائر**) تبجيلي، فإنه يقدم رسمًا تخطيطيًّا لروتابة العمل الرئاسي الرسمي في اثني عشر عامًا منذ استقالة يلتسين، الذي بتصميمه ظل لغزًا للروس العاديين. أيام بوتين كتبت على صورة سلسلة من اللقاءات والاحتفالات المجردة من الأحاسيس والعواطف.

يبدأ بوتين صباح يومه متأخرًا (استيقظ الساعة 8:30 في اليوم الثاني من مشروع تاكمنيف)، فيشرع في ملفاته الموجزة، والمصنفات اليومية التي تصله من الـ FSB وجهاز المخابرات الخارجية، بعد ذلك- كما في معظم أيام الأسبوع- يكون لديه متسع من الوقت؛ فيتجه أولًا إلى آلات رفع الأثقال في صالة للألعاب الرياضية في مكان إقامته، ويشاهد البرامج الإخبارية التلفازية، ثم يمارس السباحة مسافة كيلومتر في مسبح داخلي له. وتحل الظهيرة قبل أن يتناول بوتين وجبة الإفطار، وهي وجبة بسيطة من العصيدة (حساء

الشعير) وبيض السمان النيء، والجبن المنزلي الصنع، الذي يرسله البطريرك كيريل من مزارع الكنيسة الخاصة، وعصير البنجر والفجل. ومن ثم فهو يبدأ عمله في وقت متأخر، ويستمر لساعات متأخرة من الليل. وكثيرًا ما كانت لقاءاته مع وزراء تُعقَد حين يستعد معظم الناس للنوم؛ فكان الوقت منتصفَ الليل تقريبًاحين صرف تاكمنيف ليلتقي رئيس مكافحة المخدرات، فيكتور إيفانوف، ووزير الدفاع أناتولي سيرديوكوف، الذي كان عليه أن ينتظر في غرفة الانتظار كما هو حال تاكمنيف. قال بوتين إن وزراءه دائمًا على خط الهاتف، لكنه لا يزعجهم إلا حين يجب عليه فعل ذلك.

وقال ردًّا على سؤالٍ إنه لا يثق في وسائل الإعلام لأنها منحازة، وهذا ما دفع الكرملين إلى السيطرة بهوس على جميع القنوات تقريبًا، وادعى أنه يفضل المعلومات التي يتلقاها من لقاءاته مع رجاله، مثل سيرديوكوف وإيفانوف، التي رأى «أن فيها مزيدًا من الكمال ومزيدًا من الدقة». لا يوجد على طاولة مكتبه حاسوب يربط بينه وبين شبكة الإنترنت التي يميل إليها، فقد يجد معلومات أخرى يمكن أن تتحدى ما أصبح وجهة نظر عالمية مقيدة، يعززها البلدان التي نادرًا ما تجرأت على تحديه.

على الرغم من اللهجة المتزلفة، كان الفيلم الوثائقي يشبه فيلمًا آخر في ألمانيا جاء توقيته ليتزامن مع حفل تنصيبه قبل خمسة أشهر، وقد نجحوا في الكشف عنه؛ كلاهما أظهراه محاطًا باستمرار بمساعديه وحرَّاسه ولا أحد آخر؛ يعمل *وحده*، ويسبح *وحده*، ويتناول وجبة الإفطار *وحده*، ولم يظهر أحد من عائلته في كلا الفيلمين؛ لا زوجته ولا ابنتاه؛ ماريا التي بلغت آنذاك السابعة والعشرين، وكاتيا التي كانت في السادسة والعشرين، ولا أي من أصدقائه. وكان يبدو أن أقرب مرافقيه هو كلب أبرادور الأسود، كوني، الذي كان *ينتظره*، على ما يبدو، على حافة المسبح حتى يكمل تمرينه.

في فيلم الـ NTV، الإشارة الوحيدة إلى ميدفيديف كانت حين دخل أقرب مساعديه الذي لا يزال رئيس وزرائه، وكان بوتين يشير إلى الدراجة الحمراء الترادفية (دراجة ذات مقعدين

أحدهما خلف الآخر)، وكانت متوقفة وحيدة خارج صالة الألعاب الرياضية، وقال إنها هدية من ميدفيديف، وأوضح وهو يمارس رفع الأثقال، مازحًا، أن الدراجة تبدو غير مستخدمة.

يعتقد أحد نقاد التلفاز أن الوِحدة التي يرغبها القائد كانت اختراعًا غير موفق، وترمي إلى إقناع المشاهدين بأنه لم يكن تلك الشخصية الفاسدة ذات الإحساس المتبلد التي صنعها المحتجون وشكلت انطباعًا عنه، إنما هو شخصية جماهيرية متفانية نذر نفسه لخدمة الأمة.

ظلت حياة بوتين الشخصية سرية للجميع سوى أولئك الذين عرفوه جيدًا، وهي دائرة صغيرة وسرية، دائرة كانت منسجمة على نحو ملحوظ على مدى السنوات، لكن أيضًا كانت انعزالية على نحو متزايد، فكل شيء يعلمه الروس عن حياة بوتين جاء من هذا القبيل، بالتلميحات الصغيرة، وبالقدر الذي يسمح الكرملين بظهوره للعلن، وبترتيب منه، فهناك دائمًا قيود، وهناك أيضًا نظرة ثاقبة في بعض الأحيان.

كان بوتين يميل إلى العمل في وقت متأخر من الليل، وقد أساء لسمعته ترْكُه لزواره ينتظرون ساعات، حتى أصدقاؤه كان عليهم أن ينتظروا إلى ساعات متأخرة حتى يلتقيهم. وقد أشار إيجور شادخان، منتج الفيلم الذي أجرى مقابلة معه قبل عقدين من الزمن، وكان آخر لقاء معه، إلى أنه لقاءه ببوتين كان في وقت متأخر، في الساعة الواحدة صباحًا، بعد انتظار ساعات في طابور من المسؤولين والمديرين التنفيذيين الذين تهافتوا مرة واحدة إلى مكتبه[7].

لم يعد لدى بوتين ذلك المزاح السهل الذي استهوى شادخان خلال عام 1991م، فقد أطلق نكتة، ولكن بوتين لم يضحك. وفي مقابلة له في عام 2013م قال له: «بالمناسبة؛ إن ستالين أيضًا كان محبًّا للعمل في الليل»؛ عاكسًا درامية سولجينتسين في المونولوجات الداخلية لستالين في: **الدائرة الأولى**.

وصف شادخان بوتين اليوم بأنه «متعب لدرجة مخيفة»، ووحيد، وجامد في عقيدته، مشكك وخائف حتى من البطانة التي حوله من الذين «يريدون الانتقام ما إن يتنحى؛ لأن كثيرين منهم كان يعتمد عليه على نحو مذلٍّ».

هؤلاء الذين كانوا يحتلون المدار الخارجي من حياة بوتين- من وزراء ورجال أعمال ومعارف- اليوم قلما يلتقون به؛ إذ يبدو أنه قد تغير، حتى جيرمان جريف، أحد مستشاريه الليبراليين منذ أن عملا معًا في بطرسبورغ، راقب زميله القديم مدة طويلة لكن لم يستطع أن يفهم تطور شخصيته بسهولة، وردًّا على سؤال هل تغير بوتين، أجاب- بعد توقف غير مريح، باحثًا عن إجابة غير مسيئة-: كل ما أريد قوله أن (السلطة تغير الناس)[8]. وقد وجد بعض من كانوا مقربين منه أنفسهم مستبعدين.

وصفت أرملة أناتولي سوبتشاك، ليودميلا ناروسوفا، بوتين بأنه رجل تغيَّر منذ أن كان زوجها يدعوه مازحًا بـ ستيرليتز (Stirlitz)، العميل المزدوج في مسلسل الجاسوس الذي يحمل اسم: (**سبع عشرة دقيقة في الربيع**). قالت للصحيفة بعد أن أطيح بها من المجلس الاتحادي في خريف عام 2012م:

> «لديه روح الفكاهة؛ على الأقل كان معتادًا عليها». كان المنفى السياسي هو الثمن الذي دفعته لكونها صوتًا معارضًا نادرًا للقوانين التي تُضيق الخناق على المتظاهرين، وكانت ابنتها كسينيا من بينهم[9]. قالت ناروسوفا: «تدمير الأوهام التي تنتابني لا تطول فلاديمير، فالذي أعرفه أنه شخص صادق ومحترم ومتفانٍ، لكن لحاشيته؛ إن لدي شعورًا بالاشمئزاز من الذين يحيط نفسه بهم»؛ فقد أصبح لا يرى «الحد الأدنى من المعايير الأخلاقية» لدى القادة السياسيين الذين اعتمد عليهم، «ألا يفهمون- لأنهم صغار، ونتنون، وجشعون- أنهم ما إن يكذبون حتى لا يمكن أن يعيدوا الثقة بهم مرة أخرى؟ هم يكذبون بعضهم على بعض، كانوا يكذبون عليه، ولكن مع ذلك كان يعتمد عليهم».
>
> وقالت: يحدث في السلطة شيء يسمى (التبرنز) (bronzo veniye) الذي يشير إلى الإحساس المتضخم بأهمية الذات، الإحساس الذي يتصلب كنصب تذكاري لكن لمن هو أدنى من مستوى البشر. وأشارت إلى اجتماع سوبتشاك الأخير مع بوتين، عندما توجه إلى

كالينينجراد ضمن حملة انتخابه عام 2000م، وقال له محذرًا: «فولوديا، لا تصبح متبرنزًا»، ومع ذلك يبدو أنه أصبح متبرنزًا متخشبًا.

**حين كان** رئيسًا للوزراء استمر بوتين في العيش في مقره الرسمي في نوفو أوجاريوفو، لكن عندما عاد إلى رئاسة الجمهورية كان يعيش وحده. تزوجت ابنته الكبرى ماريا من الهولندي جوريت فاسين (Jorrit Faassen)، الذي انضم إلى الطبقة التنفيذية في شركة غازبروم، وكان ارتباطه بأسرة بوتين قد شاع على العلن فقط بعد تعرضه لحادث سير في نوفمبر/تشرين الثاني 2010م، عندما كان يقود سيارته من نوع بي إم دبليو على الطريق الرئيس المزدحم، قاصدًا رابلييوفكا ملياردير ضاحية النخبة في موسكو. بعد الاصطدام الوشيك مع سيارة المرسيدس التي تحمل المصرفي الشاب، ماتفيه يورين، خرج عدد من حراسه الشخصيين من شاحنة فولكس فاغن، وانهالوا بالضرب على فاسين، ولم تتولَّ التحقيق في الهجوم شرطة السير، وإنما جهاز الأمن الرئاسي، وخلال أسابيع لم يعتقل فقط الحراس الشخصيون، وإنما اعتقل أيضًا يورين نفسه، وقد أدينوا بالاعتداء بالضرب، وحكم عليهم بالسجن أربع سنوات ونصفًا، ثم تضاعفت لاحقًا بأحكام بتهمة الاختلاس والتزوير الذي فكك إمبراطوريته المصرفية.

تزوج جوريت من ماريا سرًّا ولم يكن واضحًا بالضبط أين ومتى؟ وإن كانت ثمة شائعات عن إقامة حفل زفاف في جزيرة يونانية في عام 2012م، وقبل أن يحتفي بوتين بعيد ميلاده الستين رزقا بطفل، وأصبح بوتين الجد، وهو ما لم تتناوله الصحافة الروسية[10].

كذلك لم يعرف عن ابنته الشابة كاتيا إلا قليل، ويقال إنها تخصصت في الدراسات الآسيوية في الجامعة، وأشيع أنها كانت منذ مدة طويلة على علاقة عاطفية بابن أميرال كوريا الجنوبية، حتى إنها تزوجته، مع أنه اتضح فيما بعد أن ذلك ليس صحيحًا. وقيل إنها أحبت الرقص التنافسي، وأصبحت نائبًا لرئيس الاتحاد العالمي للرول تحت اسم كاترينا فلاديميروفنا، ومن الواضح أن الاسم الذي اتخذته يعود إلى اسم العائلة لأمها ليودميلا.

في نهاية عام 2012م، وفي سن السادسة والعشرين، أصبحت مديرة صندوق التنمية الفكرية الوطنية، وهي منظمة لبناء مركز الأبحاث التكنولوجية الفائقة بمبلغ قدره 1.6 مليار دولار على أرض جامعة موسكو الحكومية[11]. وضم مجلس أمناء الصندوق عددًا من حلفاء بوتين المقربين، واليوم هم من التنفيذيين الأثرياء في مؤسسات الدولة، ومن بينهم إيجور سيتشين وسيرجي شيميزوف. وقيل إنها قد تزوجت كيريل شمالوف، ابن نيكولاي شمالوف، الذي كان عضوًا في جمعية البيت الريفي (أوزيرو) لبوتين، وقد انضم كيريل أيضًا إلى صفوف التنفيذيين في شركة غازبروم بعد تخرجه في الجامعة نفسها التي تخرجت فيها كاترينا، ثم أصبح مسؤولًا تنفيذيًّا، ثم أصبح من المسهمين في سيبور (SIBUR)، أكبر شركة للبتروكيماويات في البلاد، ثم تملك جزءًا منها جينادي تيمتشينكو. وهكذا بدا أن العلاقات المتشابكة التي تعتمد على المحاباة في دائرة تحالفات بوتين وأصدقائه، بدأت تنزل لتطول الجيل الجديد.

في غياب المعلومات الرسمية أو حتى الموثوقة حول الحياة الخاصة لأسرة بوتين، تفاقمت الشائعات، ومعظمها تأتي من مجموعة الثرثرة أو المجموعة المتآمرة على الشابكة، فكانت هناك تكهنات حول صحة ليودميلا، منها تكهنات بإصابتها بنوبات من الاكتئاب أو الإدمان. كان العيش المفضل لديها في دير قرب بسكوف، منفية مثلما كانت زوجات القياصرة على مر التاريخ. كانت الحقيقة معروفة أكثر لرجل الشارع. قال سيرجي رولدوغن، أحد أقدم أصدقاء بوتين، إن الزوجَين ظلا ودیین معًا، ولكن البعد والتباعد تزايد إلى جفاء. وكان بوتين يمضي مزيدًا من وقته مع دائرة الأصدقاء نفسها التي حافظ عليها منذ طفولته، ومن الـ(كي جي بي)، ومن الشركات التي تجذرت في التسعينيات. وكان يشعر بالراحة بين هؤلاء الأصدقاء، يستضيف الأحزاب في مقر إقامته في موسكو في وقت متأخر من الليل، أو في الخلوات الرسمية التي ذكرها بوريس نيمتسوف بالتفصيل في تقريره عن المقتنيات الرئاسية. قال رولدوغن: لم يناقش في هذه التجمعات الأعمال التجارية على الملأ، كانت تجري تلك المحادثات بصورة شخصية؛ واحدًا تلو الآخر، ونادرًا ما تكون سياسية. وركزت المناقشات

على نحو متزايد في موضوعات التاريخ والأدب، إذ كان اهتمام بوتين قد ضعف، وكان لديه قليل من الصبر على المواضيع المتعبة، ولكنه كان متعطشًا للحصول على معلومات جديدة.

كشف رولدوغن كيف أنه بعد قراءة ترجمة باسترناك لمسرحية الملك لير، سأل بوتين أصدقاءه عن معرفتهم -كما كتب باسترناك في تعليقاته على الترجمة- بأن الإلهام التاريخي للقصة يعود إلى القرن التاسع. كان يدعو المطربين، مفضلًا المغنين أمثال جريجوري ليبس وفيليب كركوروف، لإقامة الحفلات الخاصة، وكان الضيوف، وحتى المضيف، يمكن أن يصلوا في كل الأوقات؛ بالسيارة أو المروحية؛ فقد طلب ذات مرة من رولدوغن استضافة الموسيقيين من دار الموسيقى في بطرسبورغ، حيث يتولى صديقه القديم اليوم منصب المدير الفني. الموسيقيون الثلاثة، عازف الكمان، وعازف البيانو، والكلارينيت، عزفوا لموزارت، ويبر، وتشايكوفسكي، فانفعل بوتين، وبمكرمة من القيصر دعاهم للعزف مرة أخرى في الليلة التالية لنفس المجموعة الصغيرة من الأصدقاء. وقد شملت هذه التجمعات أمثال يوري كوفالتشوك وجينادي تيمتشينكو، ولكن نادرًا ما كانت تشمل زوجة بوتين.

ظلت هواجس بوتين منحصرة في العمل والرياضة، وأصبحت له هواية جديدة هي هوكي الجليد في عام 2011م، بعد أن شارك في بطولة الشباب، وكانت هذه الرياضة قد جذبت أيضًا أصدقاءه تيمتشينكو والإخوة روتنبرغ، بوريس وأركادي، الذي يملك فرقًا محترفة في دوري الهوكي للقارات في روسيا. قضى بوتين الساعات في تعلم التزلج والتعامل مع العصا، وهذا يدل على ذلك الحماس الذي أظهره في تعلم فنون الدفاع عن النفس عندما كان مراهقًا، ولعب المباريات في الساحات التي أفرغت من الجميع واقتصرت على الضيوف المدعوين؛ وهم بعضٌ من زملائه ومعلميه من عمالقة الهوكي، مثل سلافا فيتيسوف وبافل بوري، وكذلك أصدقاء مثل روتينبيرغز، ووزراء في الحكومة نفسها، وحتى الرئيس البيلاروسي ألكسندر لوكاشينكو، وكان الحراس الشخصيون من حرسه الخاص، وحرس ميدفيديف- وإن لم يكن ميدفيديف بنفسه- يملؤون الفِرَق.

قبل توقيت بدء دورة الألعاب الأولمبية أصدر بوتين مرسومًا يقضي بإنشاء نادي الهواة للرجال فوق سن الأربعين، الذي توسع ليشمل لاعبين من جميع الأعمار، وكان من وجهة نظره جزءًا من إعادة إحياء البلاد من خلال الرياضة واللياقة البدنية. وسرعان ما فتحت مباريات الهواة للجمهور، وأصبحت تُذكر في التقارير الإخبارية التي تتابع حثيثًا البراعة المتزايدة للرئيس على الجليد، الذي يرتدي الرقم 11، ويسجل بسهولة مذهلة ستة أهداف في مباراة واحدة! كان يلعب الهوكي ليلة أول احتجاجات جماعية في ديسمبر/كانون الأول عام 2011م مستخفًّا بها، وفي يوم تنصيبه في عام 2012م، غادر بوتين الكرملين وهو رئيس جديد ليلعب مباراة استعراضية ضد عمالقة الهوكي المتقاعدين، وكان من بين المتفرجين اثنان من السياسيين المتقاعدين؛ سيلفيو برلسكوني وجيرهارد شرودر. وسجل بوتين هدفين أحدهما هدف الفوز الذي جاء من ضربة جزاء في الوقت الإضافي[12].

في حفل تنصيب بوتين شوهدت ليودميلا لآخر مرة معه علنًا على الرأي العام، وقبل ذلك كانا قد ظهرا معًا في يوم الانتخابات في مركز الاقتراع، حيث كان بوتين يلقي النكات بحدة معها وعليها. وعندما أبرز أحد العاملين معلومات المرشح التي نشرت على الحائط، قال بوتين إنه لم يكن بحاجة إليها، ولكنها- أي ليودميلا- ربما تحتاجها، ثم قال: «إنها ليست جاهزة لأن تسرع»[13].

أصبح غيابها في رئاسة بوتين الجديدة صادمًا، وأثار شائعات جديدة عن انفصالهما، فقد كانت غائبة بوضوح في قداس عيد الفصح في تلك السنة، عندما ظهر بوتين مع ميدفيديف وزوجته، يرافقه رئيس بلدية موسكو سيرجي سوبيانين. أيضًا تجنب بوتين عيد ميلادها الخامس والخمسين عشية عيد الميلاد الأرثوذكسي في 6 يناير/كانون الثاني 2013م، إذ كان في سوتشي، حيث منح جيرار دوبارديو جواز سفر (حتى يستطيع تجنب دفع الضرائب في فرنسا)، وقضى بعض الوقت في التزلج على المنحدرات الأولمبية التي جُهِّزت حديثًا[14].

لم يظهرا معًا على الملأ مرة أخرى حتى يونيو/حزيران، عندما ظهرا بعد العمل الأول (لا إزميرالدا) من أعمال الباليه الثلاثة التي قدمت في الكرملين، وهناك طرح عليهما سؤال من صحفي وقح لا يمكن إلا أن يكون مدبرًا كهذا العرض الذي كانا يحضرانه. «هل أحببتِ إزميرالدا؟»؛ بهذا السؤال بدأ المراسل من قناة أخبار روسيا وانتظر الرد[15]، وبعد أن أدلى بوتين وزوجته ببعض الملاحظات المبتذلة حول الموسيقى (الجميلة)، وحركات الراقصين (الهوائية)، تطرق المراسل بلطف للموضوع الذي سيكون- تحت أي ظرف- محط إثارة غضب بوتين: «قلما تظهران معًا، وثمة شائعات أنكما لا تعيشان معًا، فهل هذا صحيح؟».

سحب بوتين نفسًا طويلًا، وحملق في ليودميلا، وبعد لحظة أجاب: «هذا صحيح؛ كل نشاطي وكل عملي جماهيري، جماهيري على الإطلاق؛ قد يحلو لبعضهم هذا وقد لا يحلو لآخرين، وبعضهم قد يعارضه تمامًا»، ثم خاطبها رسميًّا باسم ليودميلا أليكساندروفانا، وهي الطريقة التي لا يتكلم بها أحد إلا عن شخص غريب أو كبير في السن، وكانت هي ملزمة بدور (المراقب)، ثم قال: «لقد مرت ثماني سنوات، أو تسع، نعم، تسع سنوات، وهذا باختصار كان قرارًا مشتركًا». كانا واقفيَن متباعدين وعلى نحو غير ملائم، وقد ظهرت ليودميلا متألمة، وبوتين فولاذيًّا. ردت ليودميلا: «زواجنا انتهى لأننا قلما نلتقي، ففلاديمير فلاديميروفتش منهمك في عمله، وأطفالنا كبروا، وهم يعيشون حياتهم الخاصة، ونحن نعيش حياتنا أيضًا»، ثم أعربت عن شكرها له لأنه «لا يزال يساندني ويساند أطفالنا»، وقالت إنهما سوف يبقيان أصدقاء. وفي الوقت الذي كان فيه كثير من السياسيين والمسؤولين الروس يتباهون بأن أطفالهم يعيشون أو يدرسون في الخارج، انتهز بوتين الفرصة ليؤكد أن طفلتيه بقيتا في روسيا.

بدا المراسل مرتبكًا؛ فهل هذا يعني أنهما انفصلا حقًّا؟ ولكنها أكملت: «يمكن أن تعده طلاقًا حضاريًّا».

تزامن قرار بوتين برفع الغطاء عن حياته الشخصية مع الانعطاف الاجتماعي المحافظ في سياساته، يقرع طبول الإيمان الروسي والأخلاق في سعيه من أجل تعريف فكرة الدولة والدفاع عنها.

بالنسبة إلى القسم الأكبر من الروس كانت ردة فعلهم غير مبالية، ولم تكن تعاطفية؛ والمفاجأة كانت في التوقيت فقط؛ إذ إن الطلاق لم يصبح رسميًّا إلا في العام المقبل. أثار انفصالهما في الوقت ذاته عاصفة من التكهنات بأن بوتين يستعد للزواج مرة أخرى، وربما من ألينا كابايفا، التي أشيع أنها أنجبت طفلًا منه في عام 2010م (وطفلة في عام 2012م). كابابيفا ظهرت على غلاف النسخة الروسية من مجلة فوغ في يناير/كانون الثاني عام 2011م، ترتدي ثوب بالمين مبهرًا، وقد نفت مرارًا أن يكون عندها أطفال (الصبي الذي ظهر في حياتها قالت إنه ابن أخيها)، وظهرت شائعات عن أشياء أخرى تشمل الجاسوسة النائمة آنا تشابمان، والمصورة الرسمية لبوتين يانا لابيكوفا عارضة الأزياء السابقة والمنافسة في مسابقة ملكة جمال موسكو. كان هناك دائمًا حلقة مفقودة في الشائعات، وقد رفضها المتحدث باسم بوتين، ديمتري بيسكوف، جملة وتفصيلًا.

ستانيسلاف بيلكوفسكي، الإستراتيجي والصحفي الذي يكتب أعمدة صحفية، ادعى أن الشائعات عن وجود حب في حياة الرئيس هي من اختراع آلة العلاقات العامة في الكرملين، ظهرت لتحسين صورة بوتين وتعزيزها. نشر بيلكوفسكي كتابًا باللغة الألمانية يصوره على أنه زعيم منعزل لا يثق بأحد، وكلابه أقرب إليه من أي شخص آخر، حتى من أصدقائه. الكتاب بعنوان **بوتين.. تكهنات مخلوطة بين الإشاعات والحقيقة**، ويذكر فيه تفاصيل دقيقة– على سبيل المثال– حول حياة بناته، حتى إنه يصعب عليك تمييز إحداهما عن الأخرى، بالقدر الذي يصعب عليك معرفة حقيقة الحياة الخاصة لبوتين، حتى إن بيلكوفسكي نفسه لم يكن متأكدًا، ونأى بنفسه عن الصورة النفسية التي استخلصها[16]. بدا بوتين فيه من الواقعية أكثر من الأعمال السياسية المثيرة التي أنجزها. وبعد مضي أكثر من اثني عشر عامًا عليه في دائرة الضوء العام، أصبح شخصية فيها مزيد من البعد، بعيدة عن الناس بعد الأمناء

العامين أو القياصرة الذين سبقوه، وشخصية قوية ومجهولة، كما هو حال السلطة المراوغة التي تحدث عنها كافكا في روايته كلام.

قال غليب بافلوفسكي: «أنت تعرف أن الكتاب لا يتناول بوتين، نحن نتحدث عن بوتين كثيرًا. بوتين هو الصفر عندنا، الفارغ، الشاشة التي نسلط عليها رغباتنا وحبنا وكراهيتنا»[17].